مجلة مقامات
EISSN 2253-0363: / ISSN : ISSN2543-3857
المجلد 04 / العـدد: 02 (2020)

هاجس الوحدة العربية ومقتضياتها في أدب الشيخ محمد البشير الإبراهيمي

Obsessed with Arab unity and its requirements in the literature of Sheikh Muhammad al-Bashir al-Ibrahimi

سعودي أحمد - saoudi ahmed
جامعة عمار ثليجي- الأغواط الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية والحضارة / قسم التاريخ
University of Ammar Thleidji - Laghouat, Algeria
College of Humanities, Islamic Sciences and Civilization / Department of History
الإيميل : a.saoudi@lagh-univ.dz

ملخص :

رغم خضوع الجزائر للاحتلال الفرنسي البغيض منذ 1830م ،وسعيه المتواصل لفصل الجزائر عن بعدها العربي الإسلامي، ومحاربة كل ما من شأنه أن يؤكد تلك الرابطة أو يدعمها، من دين ولغة بل وحتى المبادلات العلمية والتجارية ، فقد بقي الجزائريون عامة ونخبتهم المحافظة ذات التكوين والتوجه العربي - الإسلامي يتواصلون مع الوطن العربي والعالم الإسلامي ولو سريا ، واعتمدوا في ذلك التواصل على العديد من الوسائل، مثل الهجرة إلى البلاد العربية ، والكتابة في الصحف الجزائرية ذات اللسان العربي حول قضايا و اهتمامات البلاد العربية ، بل واستخدموا حتى شعيرة الحج للتنقل إلى البلاد العربية، دون أن ننسى البعثات العلمية وهجرة العديد من الشباب الجزائري لطلب العلم ، في القرويين والزيتونة والأزهر وبلاد الحجاز وبلاد الشام، ورغم ظروفهم الصعبة بقي الجزائريون يؤمنون بوحدة الوطن العربي القومية ، ومصيره المشترك، وأن ما حل به من استعمار وهوان هو نتيجة لفرقته وتجزئته التي غرسها المحتل مشرقا و مغربا، فارتفعت أقلام وأصوات جزائرية تدافع عن الوحدة العربية والإسلامية، داعية لقيامها، يعد الشيخ محمد البشير الإبراهيمي من أكبر دعاتها والمنافحين عنها.

كلمات مفتاحية : الوحدة العربية ، الوطن العربي ، البشير الإبراهيمي ، الإستعمار ، التجزئة .

EISSN 2253-0363: / ISSN : ISSN2543-3857

Abstract:

Although Algeria has been subjected to the hateful French occupation since 1830 AD, and its continuous endeavor to separate Algeria from its Arab-Islamic dimension, and to fight everything that would confirm or support that bond, from religion, language, and even scientific and commercial exchanges, the Algerians in general and their conservative elite of Arab formation and orientation remained The Islamic communicates with the Arab world and the Islamic world, even if secretly, and in that connection they relied on many means, such as immigration to the Arab countries, and writing in Algerian newspapers with an Arabic tongue on issues and concerns of Arab countries, and even used the ritual pilgrimage to travel to the Arab countries, Without forgetting the scientific missions and the migration of many Algerian youths to seek knowledge, in the villagers, Zaytouna, Al-Azhar, the Hijaz countries and the Levant, despite their difficult circumstances, the Algerians continued to believe in the national unity of the Arab nation and its common destiny, and that what befell it of colonialism and dishonor is the result of its division and fragmentation that the occupier planted In the East and the West, Algerian pens and voices rose to defend Arab and Islamic unity, calling for its establishment. Sheikh Muhammad al-Bashir al-Ibrahimi is one of the biggest advocates It is lost and its supporters.

Key words : Arab unity, the Arab world, Bashir Ibrahimi, colonialism, fragmentation.

1- مقدمة :

رغم الواقع الأليم الذي كانت تعيشه الجزائر تحت النير والظلم الاستعمـاري الفرنسي إلا أن ذلك لم يمنع الجزائريين وخاصة نخبتهم الإصلاحية ذات التوجه العربي الإسلامـي من الاهتمام بقضايا العالمين العربي والإسلامي ،تأكيدا لوشائـج الارتباط معهما وتحطيما

للحاجز الـذي سعت فرنسـا منـذ 1830م أن تضعه بين الجزائريين وامتدادهم العربي الإسلامي وفق شعار فرنسا المعروف : " الجزائر جزء لا يتجزأ من فرنسا".

ومن بين رموز تلك النخبة ذات التوجه العربي – الإسلامي وذات الحضور البارز يتجلى لنا اسم الشيخ محمد البشير الابراهيمي، كأقوى الحاضرين المنافحين على قضايا العروبة والحامين لبيضة الإسلام مشرقا ومغربا متجاوزا ما كان يعيشه بلده من احتلال بغيض آثم ،ومدركا أن نضال الجزائريين ضد الاستعمار وتوابعه لا يجب أن يخضع لحدود ضيقة،فحمل الشيخ في كتاباته الهم الفلسطيني والمراكشي(المغربي) و الطرابلسي (الليبي) والمصري والباكستاني والهنـدي وغيرها من البـلاد العربيـة و الاسلامية، ومن أبرز القضايا التي شغلت الشيخ البشير الإبراهيمى ،تبرز قضية الوحدة العربية باعتبارها في نظره صمام أمان العرب والمسلمين والسلاح الأقوى في مواجهة الاستعمار الغربي الذي جثم بكلكله على صدورها.

فما هو تصور الشيخ لضرورة قيام الوحدة؟وما هي فوائدها ومنافعها على مختلف الأصعدة؟وما هي آليات وخطوات تحقيقها عربيا ؟

ولاشك أننا في البداية بحاجة للتعريف بشخصية هذا العلم الإصلاحي البارز من القطر الجزائري ،وأبرز المؤثرات في بناء شخصيته العربية – الإسلامية في حينه.

2- التعريف بالشيخ محمد البشير الإبراهيمي :

هو محمد البشير الإبراهيمي بن محمد السعدي بن عمر بن محمد بن السعدي بن عبد الله بن عمر الإبراهيمي ولد يوم 13 جوان 1889 م بقبيلة " أولاد براهيم "بقرية" راس الوادي" بدائرة سطيف، وهي قبيلة عربية النسب تنتمي في أصولها إلى الأشراف الأدارسة، نشأ في عائلة جزائرية ذائعة الصيت، توارث أفرادها العلم أبا عن جد منذ أكثر من خمسة قرون ، يقصدها طلاب العلم من مختلف أنحاء البلاد للتعلم والتلقين.

هاجر سنة 1911م إلى المشرق العربي للاستزادة في طلب العلم و المعرفة و مكث هنالك إلى غاية سنة 1920 م،و بعد عودته إلى الجزائر بذل جهودا كبيرة في التربية و التعليم لاسيما بعد لقاءه مع زميله الشيخ عبد الحميد بن باديس.

كانت فلسفته في تكوين النشء ترتكز على تربيته على الأفكار الصحيحة والأخلاق الإسلامية الحسنة ومحاربة الشعوذة والابتداع في الدين ، كما كان من الأعضاء البارزين المؤسسين لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الخامس من ماي 1931م، في نادي "الترقي" بمدينة الجزائر العاصمة التي كانت تهدف لإصلاح المجتمع ومواجهة المحتل بالتنوير و التعليم.

اعتقلته السلطات الفرنسية في تلمسان يوم 12أفريل 1940م، ثم نفته إلى منطقة "آفلو" بالجنوب الوهراني (حاليا ولاية الأغواط). تم اختيار الإبراهيمي رئيسا لجمعية العلماء خلفا للشيخ عبد الحميد ابن باديس الذي وافته المنية يوم 16 افريل 1940م.

أعتقل إثر أحداث الثامن 1945م،ليقيم بعدها في العديد من أقطار المشرق العربي وبعض الدول الإسلامية، خلال الفترة الممتدة بين 1952 م– 1962 م، طالبا المساعدة من الأشقاء العرب و المسلمين، لدعم النهضة العلمية والثقافية الناشئة في الجزائر، ولحشد الدعم المادي و المعنوي للثورة التحريرية بعد اندلاعها في أول نوفمبر 1954م ،حيث لعب دورا بارزا عن طريق محاضراته وندواته واتصالاته الحثيثة بالكثير من قادة البلاد العربية والإسلامية ومثقفيها، حتى ارتبط اسم البشير الابراهيمي بالثورة الجزائرية والحركة الإصلاحية في المشرق العربي والبلاد الإسلامية.

تـوفي يوم التـاسع عشـر مـاي 1965 م عن عمـر يناهز السـادسة و السبعين عـاما،تاركـا وراءه الكثير من المقـالات و الخطب، والأحاديث والدروس و المحاضرات، التي

جمعت تحت عنوان "آثارالشيخ البشير الإبراهيمي"، وهي ذات قيمة أدبية و لغوية، وفكرية وسياسية كبيرة[1].

3- ضرورة الوحدة وبواعثها لدى الابراهيمي :

يقول الشيخ البشير الابراهيمي عندما يتطرق لبواعث الوحدة وما يمكن أن يجنيه العرب من ورائها :"أفكر في قومي العرب فأجدهم يتخبطون في داجية لا صباح لها،ويفتنون في كل عام مرة أو مرتين،ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون،وأراهم لا ينقلون قدما إلى أمام إلا تأخروا خطوات على وراء،وقد أنزلوا أنفسهم من الأمم منزلة الأمة الوكعاء من الحرائر."[2]

فإن أكبر ما رزيت به الأمة العربية ،هي انقسامها إلى دويلات ، ولولا هذا التمزق ما تجرأ الاستعمار على احتلال بلدانها،وفي تلمسه لأصل هذا الداء الخطير الذي نخر جسد الأمة يذكر الابراهيمي أنه بدأ بسيطا في شكل اختلافات دينية ومذهبية ،لينتقل إلى الشؤون الدنيوية،ثم ليتشعب في كل نواحي ومجالات الحياة من سياسية وثقافية و اقتصادية وغيره،ومن أبرز مظاهر هذا الانقسام حسب الشيخ الإبراهيمي ما يلي :

- تعدد الزعامات السياسية و الدينية في العالم العربي و الإسلامي
- تصارع هذه الزعامات فيما بينها و إستقوائها بالأجنبي على حساب أبناء جلدتها.
- مقابلة القضايا المصيرية للأمة بكثير من المبالاة والاستهزاء.
- بيع الذمم والضمائر والتفريط في المصالح القومية.
- غياب وحدة عربية ،لاسيما على المستوى الرسمي تكفل توحيد المواقف تجاه القضايا المصيرية.

ويعلق الإبراهيمي على ذالك تعليقا جميلا فيقول:"ولو كان أجدادنا فهموا شيئا من التضامن الإسلامي ،لما ترك المراكشي والتونسي الجزائر تتخبط وحدها في المقاومة ،و

لنبهتهم ضمائرهم أن هذا الغول ان تغذى بالجزائر فسيتعشى بتونس ومراكش،ولكنه كان مستيقظا وكانوا نائمين ،حتى انتهى الأمر إلى الغاية المحـزنة."[3]

أما بالنسبة لتناول موضوع الوحدة فنجد أن كثيرا من كتابات وتصريحات البشير الابراهيمي ،كانت تستهجـــن التساهل في أمرها واعتبار البعض لها عنها على أنها مجرد عاطفة لا تصلح إلا أن تغذي قصائد الشعراء وأغاني المغنيين وهتافات المتظاهرين،بل على العكس من ذلك يجب أن تكون هاجس العربي من حكامه إلى مثقفيه إلى عامته بشكل يومي ومتواصل، و أن يجعلها من أكبر غاياته وأهدافه،فقد جاء في مقالة للإبراهيمي تحت عنوان"حالة المسلمين"نشرتها مجلة "الأخوة الإسلامية،في عدده السابع عشر،لسنة 1953م ،ما يلي:"لا أحمق منا ،نلقن أبناءنا الخلاف في الدين والدنيا بأعمالنا ونقول لهم بألسنتنا اتحدوا،و إن صالحة يأخذها الابن من أبيه بطريق القدوة ،خير من ألف نصيحة باللسان."[4]

ويمكن بوضوح أن نتبين من خلال المقولة تلك أسلوب الشيخ الابراهيمي في التربية والدعوة وهو الذي يدعو إلى اعتماد مبدأ الأفعال لا الأقوال ففي كثير من كتاباته ومحاضراته وخطبه القيمة، نجده يستنكر على الأمة كثرة شعاراتها البعيدة عن التطبيق،وأن الغرب ما تفوق علينا إلا عندما أعمل العقل وقرن الأقوال بالأفعال،ومن ذلك أن الكثير من المثقفين والحكام يكثرون من الحديث عن الوحدة العربية ،إرضاء واستمالة لسامعيهم فقط من أبناء الأمة العربية ولكنهم في واقع الأمر لا يبذلون الجهد المطلوب من أجل ذلك في الواقع ، وعليه فإن خلل الأمة ليس في قلة قيمها وندرة مبادئها ،بل في كيفية تفعيل تلك القيم التي هي من صميم التاريخ والمجتمع العربي وعلى رأسها نصرة العربي لأخيه في كل الظروف ،ولكن ما ينقص الأمة العربية بدأ بقادتها ونخبهما هو تفعيل تلك المبادئ والقيم الداعية للوحدة على أرض الواقع في البلاد العربية والإسلامية ،ولذلك نجده بمجرد أن سمع بتوقيع الرئيس المصري جمال عبد الناصر على إعلان قيام الجمهورية العربية المتحدة في فيفري 1958م حتى انتشى فرحا وهلل للحدث وأرسل برقية

تهنئة للرئيس المصري جاء فيها :" هذه الأيام التي كنا ننتظرها ونستبطئها،وهذا هو الأمل الذي قطعنا أعمارنا فيه أماني بالنهار وأحلاما بالليل،وهذا هو الحدث الذي كان يترقبه المصلحون والهداة إلى الحق والدعاة إلى الخير،وهذا هو الرجاء الذي بقي مترددا في لهوات الزمن إلى أن وجد الهمم التي تفل الحديد فأصبح حقيقة واقعة[5] ، ونجده أيضا في حديث له لإذاعة بغداد سنة 1952م يصرح قائلا :"آن الأوان لأن نتعارف،وآن الأوان لأن تجتمع هذه الأجزاء المتنافرة من الجسم الإسلامي الكبير ووجب على كل مخلص لدينه أن يسعى في جمع هؤلاء الإخوة المتقاطعين في مصلحة غيرهم[6]

كما جاء في تقديم له لأحد الكتب قوله:"لم يمر على العرب عهد كانوا فيه أحوج إلى الاتحاد وجمع الكلمة من هذا العهد،لأن المصائب التي جرها عليهم التفرق كانت المواقع متباعدة الأزمنة،بحيث لا يحس بوقعها المؤلم جميع العرب إلى أن وقعت واقعة فلسطين وسود عارها وجوه العرب كلهم،وزاد في افتضاحهم بها أن حلت بهم القارعة وهم مجتمعون،فكانت صرخة خرقت الآذان ونفذت إلى مواقع الإحساس من العرب جميعا."[7].

كما يتضح لنا فان الشيخ الإبراهيمي أدرك خطورة تلك المرحلة المظلمة من مراحل التاريخ العربي الإسلامي،التي تمكن فيها الاستعمار الأوروبي ثم الصهيوني من البلاد العربية الإسلامية ،منذ حتلال الجزائر 1830م ووصولا إلى ضياع فلسطين بعد وعد بلفور المشؤوم سنة1917م.

وعنـد تشخيص الشيخ لأسباب هذا الاعتلال ،تحفل كتاباته ومحاضراته الشيخ بذكرها ووضع اليد عليهـــا،بدءا من الابتعاد عن قيم الدين الإسلامي الحنيف ووصولا إلى التمزق و التشتت، ثم ليقوم بوصف مجموعة من الحلول التي يراها مناسبة لتجاوز هذا الوضع الصعب وتحرير العالم العربي الإسلامي من الاستعمار ،بهدف الوصول به إلى أسمى الدرجات،وبذلك فهو يولى لإتحاد العرب والمسلمين بالغ الأهمية ،بل يعتبر أن كل الحلول المتبقية الأخرى لا قيمة لها إن لم تكن فعلا عربيا إسلاميا موحدا ومجتمعا ،تستخدم فيه

إمكانيات الأمة البشرية والاقتصادية والحضارية،حتى أن الإبراهيمي اعتبر وحدة الأمة كفارة للذنوب :"إن وحدة مصر وسوريا هي كفارة ماحية لما اقترفه العرب من مآثم التفرق والاختلاف،وسيكون لحاق المتخلفين به عملا صالحا كله ،فيا بشرى للسابقين."[8]

4- آليات تحقيق الوحدة العربية في فكر الشيخ البشير الابراهيمي:

لاشك أن تحقيق الوحدة العربية في ذلك الظرف العربي الصعب مابين استعمار يجثم على أنفاس دوله ، وجهل يفتك بأبنائه وتخلف اقتصادي يرهن مستقبله،يعد مهمة شديدة الصعوبة،غير أنها ليست بالمستحيلة إذا حسنت النوايا وتكاثفت الجهود بين القادة العرب وشعوبهم،و يحدد الشيخ البشير الإبراهيمي من أجل تحقيق ذلك مجموعة من الآليات والوسائل الكفيلة بتحقيق هذا الهدف كما يلي:

أ- تقارب العرب بشير إتحادهم :

إن الجفاء والصدود من شيم الأعداء وإن أول ماي ذهب ريح الأمة ويفشلها تفرقها و انقسامها ،وما وجد الاستعمار يوما منفذا للسيطرة على العرب والمسلمين كما وجد في تفرقهم و تجزؤهم وفق سيادة (فرق تسد).

حيث صرح في كلمة له بمناسبة زيارة الأمير عبد الله الجابر الصباح إلى مصر سنة1953 م قائلا : "التقارب بريد الاتحاد والتزاور دليله، والتحاور بشيره ، والتشاور مفتاح بابه،وكل هذا يقع في هذه الأيام بين رؤساء العرب وأولي الرأي فيهم ويتكرر وتصاحبه مبشرات مؤذنة بقرب تبلج فجر من الاتحاد تعقبه الوحدة الشاملة التي ترهب أعداء العرب و يقول عنها صهيون عن جزيرة العرب:إن فيها قوما جبارين."[9]فلا غرو أن الزيارات والتواصل الشعبي مابين أبناء الأمتين العربية و الاسلامية على مستوى الشعوب لم ينقطع في يوم من الأيام ،بين من يطلب العلم ،أومن يحج للبقاع المقدسة ،حتى من يفر من

بطش المحتل لحضن أخيه في الوطن والملة، كما فعل الجزائريون بعد احتلال بلادهم وفشل مقاومتهم لاسيما بعد1847م نحو بلاد الشام ومصر والحجاز.

ولكن الشيخ يلمح إلى أهمية العلاقات الرسمية مابين الحكام من رؤساء وملوك عرب ومسلمين التي تعد مقياسا حقيقيا للتواصل والتقارب بين الدول والشعوب،وإن كان ينتقد إمكانية قيامها على الطقوس الرسمية والدبلوماسية فقط،فالعلاقات مابين أبناء الأمة الواحدة بقدر ما تحمل بعدا دبلوماسيا ،فيجب أن تكتسي أيضا طابع صلة الرحم والتآخي ،فما كان يحدث سابقا في مثل هذه الحالات يقوم على المجاملة والنفاق بدل الإخلاص والمحبة، وعلى الرهبة والتملق بدل الرغبة والصدق. وختم كلامه بالقول إن هذا السلوك الحسن الذي بدر من الحكومة المصرية، باستقبالها الحار لشخصية عربية مرموقة، هو في حقيقة الأمر: "وصل لأرحام كانت مجفوة، والرحم إذا تنبهت أسبابها تأتي بكل عجيب، وتجرف كل ما كن يحجبها من حجب، وما كان يغطي عليها من عقوق وقطيعة"[10].

وعلى هذا الأساس اعتبر الإبراهيمي أن مصر أكثر البلدان العربية أهلية لقيادة العرب، فهي التي احتضنت العروبة ونبت في أرضها لسانها، وتفتقت فيها حضارتها و آدابها، ولكل ذلك فمن الوفاء لها أن يعترف كل عربي بهذا الفضل و السبق، فيقر لها بالقيادة و الزعامة .

وقد برر ترشيحه لمصر لتكون قائدة ومتزعمة للوحدة العربية، بقوله إنه ينبع من التجربة، كونها أكثر من غيرها من الأقطار العربية وحتى الإسلامية القادرة على لعب هذا الدور، فكل أمال العرب بصفة خاصة والمسلمين بصفة عامة معلقة عليها لقيادتهم و لم شتاتهم .

و لا شك أن في هذا الحكم كثير من الصحة، ففي تلك المرحلة كانت مصر هي البلد العربي الوحيد الذي يملك من المقومات خاصة السياسية و الفكرية وحتى الجغرافية التي تجعله الأكثر قدرة على لم شتات العرب، ومن ثمة تزعم الوحدة العربية .

ب- إزالة الفوارق الاجتماعية وضرورة توحيد الرأي العام العربي :

لم يقصر الشيخ البشير الابراهيمي في التنديد وكشف مدى الضعف والهوان الذي لحق بالأمة العربية الإسلامية جراء تشتتها،لا من قلة عدد،بل لهوانها على نفسها وقبولها الإثم بوضعها ،وقبولها بأن تكون تابعة لا متبوعة ومسودة لا سيدة فيقول :"إن المسلمين كثير ،ولكن التفرق صيرهم قليلا مستضعفين في الأرض،يشقون لإسعاد غيرهم ،ويموتون في سبيل إحياء عدوهم،وإنها لخطة من الهوان يأباها الحيوانات العجماء فكيف الخلائق العقلاء."[11]

ولذلك يرى الإبراهيمي أن من أولى خطوات و أهم شروط الوحدة، تضافر الجهود من أجل إزالة أقوى أسباب التنافر بين الشعوب العربية ومن تلك النزاعات الفردية التي تعبر عن الانحطاط في مستوى البعض الذي ينسى بأنه ينتمي إلى أمة ضاربة في التاريخ ،صنع أمجادها أجيال وأجيال من القادة والعلماء والفاتحين ،لا بفرديتهم بل بإخلاصهم للجماعة والأمة ونبذهم للأنانية والفردية وعلى كل فرد أو قطر من البلاد العربية الإسلامية أن يفكر في إخوته الأصعب منه واقعا وظروفا: "يجب أن تتضافر الشعوب العربية على إلحاق أخر قافلتهم بأولها،فإن بين الطرفين بعدا بعيدا في الثقافة والتفكير والاتصال بالعصر وأسباب الثروة وفهم الحياة وأوضاع الاجتماع،وأن هذا التباعد هو أقوى أسباب التنافر بينهم"[12]

ولاشك أن أول مظاهر اللحاق والتقارب ،تقارب الأفكار و الآراء وتوحيدها لاسيما في القضايا المصيرية التي تهم الأمة بأسرها ،أو تلك التي تضمن مواجهة موحدة لما تتعرض له من عدوان خارجي على كافة الصعد ،فعلى عربي المشرق أن يفكر كما يفكر عربي المغرب

العربي وعلى مسلم آسيا أن يشعر كما يشعر مسلم إفريقيا:" ويجب عليهم أن يجتهدوا في تكوين رأي عام في كل شعب عربي ليسهل عليهم تكوين رأي عام أعم يوجه ويرشد وينشأ ويخاف ويرجى،فإن بعض الشعوب العربية لم يتكون فيها رأي عام إلى الآن ،ومازالت تسيطر عليها النزعات الفردية التي هي علامة التفكك وأساس التخاذل ،وبعض شعوبهم فيها رأي عام ولكنه لم ينضج بعد، والرأي العام لا ينضج إلا في ظل الاستقرار والثقافة الهادئة الموحدة "[13].وفي ذلك من الشيخ إدراك سابق لعصره لقيمة الأمن الاجتماعي والاستقرار السياسي لتحريك عجلة التقدم ،وتوفير الجو الصحي الخصب الذي تزهر فيه الثقافة ويبدع فيه المبدعون.

و في متابعة لكتاباته وتصريحاته يبدو لنا أيضا أن الإبراهيمي كان من المؤيدين لفكرة أن الوحدة العربية يجب أن يكون منطلقها شعبيا وليس فئويا، تشارك فيها جميع شرائح المجتمعات العربية وطبقاتها ومختلف أطيافها، فضلا عن كل التيارات الفكرية والتنظيمات السياسية والاجتماعية والاقتصادية الموجودة في كل قطر، والوسيلة في ذلك هي الجهد الثقافي الذي يتولى التوعية و تكوين رأي عام في اتجاه التوحيد .

ج- لا وحدة عربية بلا تعريب للظاهر والباطن :

إن تحقيق الوحدة العربية في نظر الشيخ الابراهيمي يستلزم بعض البديهيات التي لا مفر منها و لا يمكن تجاوزها بأي حال من الأحوال على جميع الأصعدة سواء لدى العامة أو لدى النخبة المثقفة أو لدى السلطة الحاكمة ،فإن عامل اللغة يعد بلا منازع المحرك الأول، باعتبار أنه عامل ربط ، ليس بين الدول العربية وحدها بل وبقية دول العام الإسلامي باعتبار أنها لغة القرآن التي يتم تداولها على مستوى العبادات الرئيسة في أصقاع العالم الإسلامي ، وإن تعريب كل مناحي الحياة في المجتمع العربي أصبح ضرورة لابد منها."نحن معشر العرب أصبحنا في حاجة ملحة للتعريب في كل علائقنا بالحياة،فنحن في حاجة إلى تعريب ألسنتنا وأفكارنا وعقولنا وأذهاننا وتصوراتنا ،وأكاد

أقول ولباسنا ونعالنا وأساليب معاشنا،وهيئات أكلنا وشربنا ونومنا،وأثاث بيوتنا،فقد عم حياتنا كلها المسخ والقلب ورمانا الاستعمار بالناقرة وهي فساد الأخلاق فينا،فلم يبقى من صفات العرب شيئا"[14].

ويضيف الابراهيمي موضحا بان التعريب الشامل هو اكبر غايات كل من يعمل بإخلاص للعروبة، إذ لا يتم على وجهه المطلوب إلا بالعلم وحده، حتى وإن بلغنا فيه درجات متقدمة جدا، فلا فائدة من العلم وحده، إذا لم يتطعم في كل خطوة منه بتربية نفسية، على ما للعرب من شمائل وهمم وبطولات، ووفاء وصدق في القول وتفان في العمل، وتضحيات وإباء و إيثار وكرم وشجاعة. وهذه قيم التربية الحقيقية في الدين الإسلامي والحضارة العربية الإسلامية.

وإن نجاح هذا التعريب بشقيه الجزئي والكلي يجعلنا:"نكون قد حصلنا على نتيجة عجز عنها من قبلنا من الدعاة المصلحين،وأدينا حق الله وحق العروبة على أكمل وجه ،وقمنا بالأمانة والعهد كما أمر الله،ومهدنا للقومية العربية الكاملة بإزاحة العقبات من سبيلها، وجمعنا ما فرقت السياسة والسياسيون منا و الأجانب وأنفهم راغم"[15]

د- استقلال الأمة العربية يبدأ في فكرها وأدبها قبل اقتصادها :

كان الشيخ البشير الإبراهيمي، خلال المؤتمرات الأدبية والمنتديات الفكرية واللقاءات العلمية،شديد الحرص إلى دعوة الأمة على ضرورة استقلالها أدبيا وفكريا ولغويا، أكثر من حرصه على الجوانب السياسية و الاقتصادية، التي لا تبرز على نحو كاف خصائص الأمم ومميزات الشعوب، لأن الذي يبرزها ويستعرضها أكثر أمام الأمم الأخرى، آدابها وأفكارها و لغاتها "[16].

ومنه نرى كيف أن الشيخ البشير الابراهيمي يصر على تفعيل كل الوسائل التي من شأنها تحقيق الوحدة العربية والتي من أبرزها حقل الأدب العربي "وقضية القومية

العربية تستمد أقوى حججها من واقع الأدب العربي وسلطانه ،ووحدة الأمة العربية تتمثل في وحدة هذا الأدب بصورة عملية ... وقضية القومية العربية ليست ميدان سلاح أو حرب،وإنما هي ميدان عقل و فكر، والأديب في ميدان الفكر كالقائد بين يدي المعركة ،يوجهها بخبرته ويديرها بحكمته"[17]

وعلى ضوء ذلك، نستنتج أن الشيخ الإبراهيمي قد راهن كثيرا على دور الأدب والأديب العربيين في إحياء القومية العربية وتمتين أواصرها من جهة، وفي الدفع بمشروع الوحدة العربية في مساره الصحيح من جهة أخرى إنطلاقا من مسلمة مفادها أنه إذا كان الأدب يمثل : "المرآة العاكسة التي تنعكس عليها حضارة الأمة بجميع مقوماتها النفسية والعقلية و الاجتماعية" فان الأديب هو الذي يتحمل مسؤولية الحفاظ على الصورة الخالدة لامته .[18]

هـ- الوحدة الشاملة علاج ناجع لكل الأمراض :

إن أسوا ما يمكن أن يصيب أمة بعينها هو تمزقها إلى كيانات صغيرة وضعيفة ،تخدم أهواء داخلية لطالبي السلطة الضيقة والمصالح الفردية والأسرية كما هو الشأن لدى بعض الأنظمة العربية على حساب المصلحة القومية ،ولاشك أن هذا التجزؤ والتفتت هو من خدم المحتل عندما استفرد بهذا الوطن العربي عند تحوله إلى كيانات قطرية صغيرة وضعيفة يستقوى بعضها على البعض باستدعاء الاجنبي .

ولذلك لم تكن العروبة لدى الابراهيمي مجرد جنسية يحملها الفرد :"ففي كثير من الأحيان نجده يتجاوز مجرد التعبير الفطري عن الانتماء الشخصي والوطني والمغربي إلى العروبة مع التشديد على وحدة المشرق و المغرب،و ضرورة تضامن الأمة العربية في السراء والضراء و تناديها في الملمات وتجاوبها مع بعضها البعض في الظروف العصيبة... حيث يقول منوها بهذه الأخوة العربية:

رعى الله من عرب المشارق أخوة تنادوا فدوى صوتها في المغارب

توافوا على داع من الحق مسمع ووفوا بنذر في ذمام الأعارب

هموا رأسمالي،لا نضار وفضة وهم ربح أعمالي ونجح مـآربي

وهم موردي الأصفى المروى لغلتي إذا كدرت(أم الخيار) مشاربي[19]

و قد ظل الشيخ البشير الإبراهيمي من الداعين إلى نبذ الانقسام القاتل للعرب و المسلمين، و ضرورة استبداله بالوحدة الشاملة لجميع أباء الأمـة الواحدة، وفي هذا يتساءل كيف يتسنى ذلك، وقد افرز ذلك التقسيم أوضاعا جديـدة وممالكا وملوكا؟، فمن الصعب جدا تغيير الممالك، ومن الأصعب حرمان الملوك من لذة الملك ؟.

ثم يتعجب الشيخ الابراهيمي من عجز الأمة العربية عن التوحد و هي التي تملك الكثير من المقومات الحضارية والبشرية والاقتصادية والجغرافية،فيتساءل عن المانع من أن تكون دولة واحدة ؟، في وجود الأمة الواحدة التي لا تحتاج في غالبيتها إلى ما قام به اليهود من جمع لشتاتهم من مختلف أنحاء العالم المتباينة أعراقهم وأفكارهم و ميولاتهم، ولا تحتاج إلى وسيط محتل للتعمير، كلجوء الصهاينة إلى الاستعمار البريطاني، فمن الممكن جدا تحقيق الحلم في أقصر زمن، شريطة وجود قادة يتحلون بالإرادة والعزيمة اللازمين لذلك .

ثم نجده يجيب على تساؤله بالقول إن البداية تكون بما هو ميسر و متوفر، وهو توحيد التعليم ومناهجه والتجارة وشؤونها، وإزالة الحدود الفاصلة بين أجزاء الوطن الواحد، واعتبار المعتدي على جزء منها معتديا على كامل الأجزاء، وعدو الشعب العراقي هو عدو الشعب المغربي، وهكذا مع أخذ العبرة من ايطاليا في ضم أجزائها و ألمانيا، وفرنسا التي لم يهدأ لها بال في قضية " الألزاس و" اللورين" ، وأيضا من انجلترا الشبيهة بجزيرة

العرب، والتي لو أن دولة اعتدت على جزء منها لتسارع الانجليز في كل مكان لاسترداده، فلما لا يفعل العرب مثل ذلك ؟

ومن المنطقي بالنسبة إليه أن يكون لهذا الوضع من التشرذم والتفرقة،آثار سيئة وعميقة على المجتمع،"حيث اتسعت الفجوة بين العالم العربي الإسلامي و بين العالم الغربي الذي أضحى رائدا في العلوم والتكنولوجيا ،بينما مازالت العروبة بين اثنين واحد لا تتجاوز لسانه و أخر يستحي من الانتساب لها مفضلا عنها جنسيات الغرب وأوطانه،وحتى العروبة كلغة باتت مهددة بالرطنات الأعجمية التي غمرتها ، واللهجات التي مزقتها و اللهجات الأجنبية التي نافستها عن طريق أبناءها من ضعفاء الهمم و العزائم."[20].

وهكذا دافع البشير الابراهيمي طيلة حياته المليئة بالجهاد والنضال،عن خيار الوحدة العربية باعتبار أن العصر الذي نعيشه عصر التكتلات والاتحاد ولا عيش فيه إلا للأمم القوية،وأن حتمية طرد الاستعمار لابد وأن تمر عبر توحيد الأمة لمواقفها وجهودها أمام هذه الهجمة الاستعمارية الصهيو –أوربية بعد الحرب العالمية الأولى، والصهيو- أمريكية بعد الحرب العالمية الثانية فهاهو يؤكد:"إذا كان الاستعمار على درجة كبيرة من القوة ،كما يتصور العرب فإنهم في الحقيقة إنما يزيدونه قوة بتخاذلهم وتفرقهم وتطاحن هيئاتهم،وإضاعة أوقاتهم في الجهل الفارغ...وهيهات أن يحي وطن أو يستقل بالهتافات المترددة من الحناجر ،بين يحيا فلان ويسقط فلان."[21]

5- خاتمة :

مما سبق لا نجد إلا أن نصف الابراهيمي بأنه كان من أكثر المثقفين والعلماء الجزائريين والعرب المنافحين والمدافعين عن العروبة الحقة ، كيف لا وهو القائل في مقال له تحت عنوان (فلسطين ،واجباتها على العرب مايلي :"كاتب هذه السطور عربي ،يعتز

بعروبته إلى حد الغلو، ويعتد بها إلى حد التعصب، ويفخر بأبوة العرب له إلى حد الإنتخاء"[22]

كما يجدر بنا القول :"على أن التأكيد على اللحمة القومية ووحدة المصير بين المشرق والمغرب هي المحور الأساسي لكل كتابات الابراهيمي،إذ قل ما نجد مقالا من مقالاته لا يؤكد على هذه الناحية أو يشير إليها من قريب أو بعيد،سواء في كتاباته التي تتناول القضايا الجزائرية المحلية أو كتاباته التي تعالج الشؤون العربية بصورة عامة ،مما حدا ببعض المستشرقين الاستعماريين ومن يواليهم في نزعتهم أن يوجهون إليه تهمة الشعوبية والتعصب العرقي والتطرف الديني في محاولة لتشويه المقاصد النبيلة التي كرس لها قلمه وفكره وجهاده وهي تهمه دفعها الكاتب عن نفسه في قوله :"هذا القلم ليس شعوبي اللسان،ولا غمس شفاهه في منكر،و لا تحلبت ريقته منكر التفريق".[23]

غير أن ما يميز البشير الابراهيمي عن غيره في هذا المجال هو اعتباره أن الوحدة العربية والقومية العربية تختلف كثيرا عن القوميات العربية والوحدات التي شهدتها بعض الدول الأوربية مثل إيطاليا أو ألمانيا (1870-1871م) والتي قامت بالقوة وحد السيف، فإن الوحدة العربية يجب أن تتحقق بشكل أكثر حضارية عبر مجالات اللغة العربية والأدب العربي وبأيدي أبناء الأمة من طليعتها المثقفة الواعية التي يجب أن تقود الجماهير نحو الأمل الكبير بتوحد العرب والمسلمين.

ومن الواضح أن الابراهيمي يجعل من الوحدة الحل الأفضل لكل المشاكل والتحديات الكبرى التي تواجه الأمة العربية في عصره،بدأ بالاستعمار ومرورا بالجهل والتخلف ، حتى أنه أقسم أن الحل الانفرادي لا جدوى منه فقال :"أما والله لن نفلت من مخلب الاستعمار فرادى ولن نفلت منه إلا يوم نصبح أمة واحدة تلقى عدوها برأي واحد وقائد واحد وقلب واحد،فإن لم نفعل فلا نلم الاستعمار ولنلم أنفسنا."[24]

المصادر والمراجع :

1- عبد الله شريط ،تاريخ الثقافة في المشرق والمغرب،ط1،م و ك ، الجزائر ،1983.
2- محمد الابراهيمي،ميلاد الجمهورية العربة المتحدة،الأثار،ج5.
3- محمد البشير الابراهيمي ،اتحاد المغرب العربي الكبير،الأثار ،ج04.
4- محمد البشير الابراهيمي ،معنى العيد ،آثار محمد البشير الابراهيمي،جمع وتقديم ،أحمد طالب الابراهيمي،ط1،دار الغرب الاسلامي،بيروت،1997.
5- محمد البشير الابراهيمي، أخوة الاسلام"،الأثار،ج4،ص6
6- محمد البشير الابراهيمي،"تعارف المسلمين مدعاة لقوتهم وعزتهم"،الاثار،ج4.
7- محمد البشير الابراهيمي،الاستعمار والشيطان ،الاثار ،ج5،ص95.
8- محمد البشير الابراهيمي،تقارب العرب بشير إتحادهم،الأثار ،ج4.
9- محمد البشير الابراهيمي،حرية الأديب وحمايتها ،الآثار ،ج5.
10- محمد البشير الابراهيمي،مشكلة العروبة في الجزائر ،الأثار،ج5.
11- محمد البشير الابراهيمي،ميلاد الجمهورية العربة المتحدة،الأثار،ج5.
12- محمد البشير الابراهيمي، إلى مؤتمر التعريب بالرباط،الآثار،ج5.
13- محمد البشيرالابراهيمي، أخوة الاسلام"،الأثار،ج4.
14- محمد البشيرالابراهيمي، من أنا ، مجلة الثقافة ،عدد87،ماي-جوان1985.
15- محمد البشيرالابراهيمي،كلمة لمجلة الاذاعة المصرية ،الاثار،ج4.
16- محمد البشيرالابراهيمي ،فلسطين واجباتها على العرب ،الأثار،ج3.
17- محمد البشيرالابراهيمي،اتحاد المغرب العربي الكبير،الاثار،ج4.
18- محمد دراجي ،المشرق العربي،(مواقف الامام الابراهيمي)،عالم الافكار ،الجزائر2005.
19- محي الدين صابر،محمد البشير الابراهيمي والدعوة القومية ، الثقافة ،عدد87 ،ماي- جوان1985.

[1]- للمزيد أنظر،الابراهيمي، من أنا ، مجلة الثقافة ،عدد87،ماي-جوان1985،ص11.

[2]- محمد البشير الابراهيمي ،معنى العيد ،آثار محمد البشير الابراهيمي،جمع وتقديم ،أحمد طالب الابراهيمي،ط1،دار الغرب الاسلامي،بيروت،1997،ص482

[3]- الابراهيمي ،اتحاد المغرب العربي الكبير،الأثار،ج04 ،ص302.

[4]- محمد دراجي ،المشرق العربي،(مواقف الامام الابراهيمي)،عالم الافكار ،الجزائر ،2009 ،ص 104.

[5]-محمد دراجي ، نفسه،ص129.

[6] - الابراهيمي،"تعارف المسلمين مدعاة لقوتهم وعزتهم"،الاثار،ج4،ص97.[6]

[7]-محمد دراجي ،مرجع سابق ،ص145.

[8]- الابراهيمي،ميلاد الجمهورية العربة المتحدة،الأثار،ج5،ص215.

[9]- الابراهيمي،تقارب العرب بشير إتحادهم،الأثار ،ج4،ص243.

[10]- ، الإبراهيمي ، تقارب العرب ، مصدر سابق.

[11] -الابراهيمي، أخوة الاسلام"،الأثار،ج4،ص60.

[12]- الابراهيمي،كلمة لمجلة الاذاعة المصرية ،الاثار،ج4،ص376

[13]- نفسه.

[14]- الابراهيمي، إلى مؤتمر التعريب بالرباط،الأثار،ج5،ص266.

[15]-نفسه.

[16]-مقدمة محمد الهادي الحسني للكتاب ،الاثار ،ج5،ص26.

[17]- الابراهيمي،حرية الأديب وحمايتها ،الآثار ،ج5،ص211.

[18] -عبد الله شريط ،تاريخ الثقافة في المشرق والمغرب،ط1،م و ك ،الجزائر،1983م،ص26.

[19]-محي الدين صابر،محمد البشير الابراهيمي والدعوة القومية ، الثقافة ،عدد87 ،ماي- جوان1985،ص112.

[20]- الابراهيمي،مشكلة العروبة في الجزائر ،الأثار،ج5،ص150.

[21] -الابراهيمي،اتحاد المغرب العربي الكبير،الاثار،ج4،ص302.

[22]- الابراهيمي ،فلسطين واجباتها على العرب ،الأثار،ج3،ص452.

[23]- محي الدين صابر،محمد البشير الابراهيمي والدعوة القومية ،مجلة الثقافة،عدد87،ماي-جوان 1985م ،ص113.

[24]-الابراهيمي،الاستعمار والشيطان ،الاثار ،ج5،ص95.